



המחלקה לחינוך
אוניברסיטת בן-גוריון בנגב



This project is funded by the European Union.

مُرشد تعليمي حول عيد الفصح والميمونة

وقصة "شاي خلو بالنعناع"

كُتبت المادّة: راحيل هارتصيون

ترجمة: حسين الغول

مقدّمة: لماذا التّركيز على عيد الميمونة

يُحتفل بعيد الميمونة في أول يوم بعد انتهاء عيد الفصح، ويسمى "إسرو حاج". وقد اعتاد يهود المَغرب القيام بزيارات للأقارب خلال "اسرو حاج"، أما في بلادنا فيزور المؤمنون قبور الأولياء والأنبياء تيمناً بهم. عيد الميمونة هو عبارة عن عيد عائليّ وجماعيّ، اعتاد أبناء الطائفة اليهوديّة من شمال إفريقيا الاحتفال به في البلدان العربيّة مع جيرانهم المسلمين. قرّرنّا اختيار قصة الميمونة بسبب تحولاتها وتطوّراتها المثيرة، والتّصورات والقيم الهامّة التي تكمن في طياتها، وكذلك بسبب الرّوابط الثقافيّة المشتركة للمسلمين واليهود.

عندما قدم يهود شمال إفريقيا إلى إسرائيل، دأبوا على إحياء تقاليد هذا العيد في منازلهم. وبمرور السّنوات توسّعت دائرة المحتفلين بالعيد ليشمل بالإضافة ليهود شمال إفريقيا أيضا أبناء طوائف أخرى حضروا لتهنئة العائلات التي تحتفل بالعيد، سواء بسبب علاقات الجوار، أو الرّواج والصّلات الأخرى بين الطوائف، أو بسبب حبّ الاستطلاع في أعقاب الإعلان عن العيد في وسائل الإعلام المركزيّة.

ولكن رغم اتّساع دائرة المحتفلين بعيد الميمونة، لا تزال معرفة الجمهور به محدودة ومقتصرّة على مظاهره الخارجيّة، وليس هناك وعي لمعزى ودلائل العيد، وعلاقته بعيد الفصح. والواقع أن هناك مستويات مختلفة لتفسير العيد وجذوره وتاريخه: "يواجه بحث تاريخ العيد عدة صعوبات نظراً لوجود عدة تفسيرات لمصادره. وقد يكون هذا نابعا من الجُهود لتجاهل أصوله الوثنيّة، وعلاقته بعبادات الغُرباء من غير اليهود، أو بسبب إقصاء العيد إلى هامش الخطاب الإسرائيليّ في السّنوات الأولى من قيام الدّولة بفعل المساعي لدمج يهود شمال إفريقيا في إسرائيل" (دوف نوي، 1986).

وقد درس باحثون في مجال الفولكلور مميزات هذا العيد، في محاولة لتقصّي جذور الميمونة ومصادرهما، ولذلك اختاروا تحليل مكوّنات العيد: اسم العيد، النّهاني والأغاني التي تميّزه، مكوّنات المائدة التي تُحضّر عشية العيد وغيرها. يرتبط عيد الميمونة بأعياد أخرى تحتفل بها طوائف يهودية مختلفة في المهجر وكذلك في البلاد، ومنها: عيد "السّيجاد" الأثيوبي، وعيد "السّهراة" الكردي الذي يُحتفل به في عيد العُرش، وغيرها.

تقترح قصّة "شاي حلو بالنعناع" تفسيراً المدلولات العيد (انظر فصل: "القصة مدبّلة بالمعلومات")، ولكن ميزة القصة هي في أنها تثير فضول أبناء الجيل الشاب في عصرنا الحالي بغض النظر عن دياناتهم وطوائفهم وثقافتهم. فمن بروي القصة هي فتاة صغيرة السنّ، منحدرّة من سلالة لعائلة من اليهود الصالحين، نتعرّف عليها وهي تستمع لحكايات تروى لها جدّها. تتخلّل القصة حكايات متفاوتة من ناحية الزمان والمكان، ولكن الشخصيات تتناول قضايا إنسانيّة قد تهّم الجيل الشاب الحالي، ومنها: الذّكرة وحنين العائلة لمنزلها الأول الذي هجرته، ولصيرورة حياة الطّفولة البعيدة، البؤس وصعوبة طلب العفو، الموقف من المعتقدات ومن المؤمنين بها (وبالتالي مواجهة الخجل من الأهل أو الأجداد الذين يؤمنون بمعتقدات تُعتبر بدائيّة وخُرافيّة ومواجهة الآراء المسبقة)، والاستعداد للإصغاء لقصص الأجداد الساحرة التي تنم عن حكمة وتجربة. من المهم لدى قراءة القصة أو بعدها، إطلاع الطلاب على معلومات تعمّق فهمهم للأحداث.

قصّة "شاي حلو بالنعناع" (مدبّلة بالتفسيرات والمعلومات)

شاي حلو بالنعناع

"كانت لها عادة دائمة: فهي تُحَضِّرُ لِنَفْسِهَا الشاي مَعَ النَّعْنَاعِ" (ص 97)

الشاي الحلو هو مشروبٌ شائعٌ في المغرب، ويعتبر عن نمط حياة. فكلَّ حَدَثٍ، أو لقاء اجتماعي، أو مفاوضات، تُفْتَتَحُ بطقوس احتساء الشاي الحلو المطيب بالأعشاب ذات الرائحة الفواحة، ففي الصيف يُؤْتَمُّ الشاي مَعَ النَّعْنَاعِ، وفي الشتاء مَعَ عَشْبَةِ الشَّيْبَةِ. أحد الاختبارات التي يَنْبَغِي على المرأة حسب العادات اجتيازها يتمثل في طريقة تقديم الشاي لِضَيْوْفِهَا بالأدوات المناسبة: الكؤوس الزاهية المُخَصَّصة للشاي، الإبريق، الصينية، المطرقة الصغيرة المُعدَّة لكسْر قوالب السُّكَّر، وأدوات تقديم الكعك. نُقْطَةُ اختبار أخرى في هذه العادة، تتمثل في طريقة سَكْبِ الشاي، ويكون على المُضيفِ رَفَع إبريق الشاي بصورة تدريجية إلى الأعلى من فوق الأكواب وسكبه دون إهدار قطرة واحدة، وتؤدي فقاعات الهواء في الكؤوس إلى نشر رائحة الشاي المنعشة. وكلما كانت المرأة مُتمكِّنة من عملية صب الشاي، كانت تحظى بالتقدير على استقبالها اللائق للضيوف. يهدف مذاق الحلو للشاي إلى منح الطاقَة للجسم بعد تناول وجبة دسمة، والأصوات التي تُسمع لدى ارتشاف الشاي هي للتعبير عن المتعة، مما يُعدُّ نوعاً من التَهْدِيب والاحترام.

كانت طقوس الشاي تعدُّ مقياساً لمدى ثراء ومكانة الشخص المُضيف: في بيوت الأثرياء كانت هنالك كؤوس البلور والزجاج المُرخرفة بالذهب. أمّا في بيوت الفقراء فكانت هنالك الأدوات الزجاجية أو الأدوات النحاسية البسيطة. طقوس شرب الشاي موجودة في ثقافات مختلفة وتشمل عادات تقديم الشاي وأسلوب احتسائه، طريقة الجلوس، الأدوات الخاصة، لغة الطقوس والعادات "المسموحة" و "الممنوعة" خلالها. يُمكننا التَّعرُّف على أهمية هذه الطقوس من الأساطير المختلفة والأشعار والقصص الشعبية.

تبدأ قصة "شاي حلو بالنعناع" وتنتهي بطقوس الشاي، مما يوحي بأهمية هذه الطقوس. (انظر فيما يلي: لماذا سميت القصة "شاي حلو بالنعناع"؟).

اليوم السابع من عيد الفصح – عشية عيد الميمونة

"كما هو الحال في اليوم السابع من عيد الفصح، في هذه السنة، أيضاً، خَرَجْنَا لزيارة الجدَّة ياقوت" (ص 97)

تبدأ الميمونة عشية اليوم السابع من عيد الفصح، وتستمرُّ حتى اليوم التالي الذي يصادف "إسرو حاج". حسب الموروث اليهودي عبر بنو إسرائيل البحر الأحمر في اليوم السابع من عيد الفصح، ونجوا من المصريين الذين لاحقوهم، واجتازوا الحدود بين العبودية والحرية التي بدأت التهيئة والاختبار لها في الصحراء.

في هذه المناسبة يتلو اليهود في الكنس "ترنيمة البحر" (من كتاب "سفر الخروج" الإصحاح 15) ويؤدون طقوساً متعلّقة بالمياه، مثل سكب الماء على أرضية الكنيس والمرور من فوقها، وضع حوض من الماء والمرور من فوقه، والقيام بتعميل عملية عبور البحر الأحمر وغير ذلك.

وفي يوم الميمونة نفسه يعتاد اليهود على التوجّه باكراً لمنابع مياه وغمر القدمين فيها. تُسمّى هذه العادة باسم "بو هراس" ويتم خلالها الوقوف في الماء من خلال إدارة الظهر للمنبع، وملء اليدين بالماء ورشه للخلف والترديد: "أذهب يا بو هراس، ولتذهب كل الأشياء المؤذية". وفي هذا إشارة لإبعاد كل الأشياء المؤذية، بما فيها الآثام والآلام.

تتبع طوائف مختلفة الطقوس التي يُستخدم فيها الماء للتعبير عن التطهر والإقلاع عن الذنوب وبداية مرحلة جديدة. ففي بداية السنة تُدعى "تشليخ"¹، وفي عيد الأسابيع "شفوعوت" يرش الناس الماء على بعضهم البعض، كما يُسكب الماء في الكنيس في عيد العرش. في الديانة المسيحية يُستخدم الماء في تعميد المواليد الجدد وفي مناسبات مهمّة أخرى.

من مدلولات عيد الميمونة أيضاً استدعاء الحظ، ومن هنا المكان الموقر للسيدة ميمونة، سيدة الحظ، والتي على شرفها يجهزون مائدة الميمونة التي تحتوي على ما لذّ وطاب.

مائدة الميمونة

"كانت تُرسلنا إلى الحقل... كي نُقطفَ الرُّودَ لنُزيّنَ بها مائدة الميمونة". (ص 97)

"كانت المائدة جاهزة. وضعت الجدّة بجانب الحلوّيات والمربّى الحليب والزبدة والطحين الأبيض". (ص 107)



مما يدلّ على معاني العيد هو المائدة التي تجهّز عشية العيد، وتُمدّ بمكوّنات تشكّل رموزاً للحظ والخير والبركة. ولا يدور الحديث عن وجبة طعام ولا يجلس الناس حول المائدة، بل يدخل الزوّار المنزل المفتوح، يتذوّقون الأطعمّة، يقدّمون التّهنائي ثمّ ينتقلون لزيارة منزل آخر. تشتمل الأطعمّة على الحلويات، الحليب ومُشَنّقاته، الطّحين الأبيض، عجينة الخُميرة، زيت الزيتون، العسل، قوالب السكّر وسنابل القمح والشّعير. تُزيّن المائدة بالورود والسنابل وبعض نباتات الحقل. وإضافة إلى الاعتقاد بأن هذه الأطعمّة تجلب الحظ، فإنها ترمز لبداية فصل الرّبيع.

يتمّ إعداد المائدة من أجل السيدة ميمونة، ولها ينشدون خلال العيد: "آه يا سيّدة ميمونة/ أنتِ مُباركةٌ وسعيدةٌ ومحظوظة" (ص 108). يهدف التوجّه للميمونة إلى إقناعها بمنح الحظ للعائلة، وهذا ما تعبّر عنه وفرة المرطبات **والمأكولات المعروضة على المائدة**

تطرّق الباحث يجال بن نون الذي درس مصادر الميمونة، إلى قضية الحساسيّة النابعة من تعريف العيد كاحتفال وثنيّ. يدّعي بن نون أنّه بالرغم من المصادر الوثنيّة، فإنّ الميمونة هي عيدٌ يهوديّ، كما أنّ انتقال الميمونة لإسرائيل حولها إلى عيد يهوديّ- إسرائيليّ. حسب بن نون، يكمن سرّ قوّة الميمونة في كونها رمزاً للأخوة والجيرة الطيّبة بين اليهود والمسلمين، إذ لم يكن بوسع اليهود الاحتفاظ بالأطعمّة المتخمّرة (الحاميتس) في بيوتهم خلال أيام عيد الفصح السّبعة فباعوها للمسلمين. وفي هذه الأمسية يقوم المسلمون بتوفير الطّحين والخُميرة وسنابل القمح، وهو أمر وارد في القصة. بمرور الأجيال أضيف معنى آخر للعيد، وهو اعتبار الميمونة عيداً للشباب والعشّاق الذين يلتقون في الممرّات بين المنازل أثناء الزيارات لتقديم التهنائي، وفي بعض الأحيان تتحوّل هذه اللقاءات إلى لقاءات تعارف، ولكنها لا تكون دائماً محض الصدفة، وتنتهي بالزواج وتكوين أسرة جديدة.

اللد

"مرّت امرأةٌ عربيّةٌ من وراء جدارٍ أشجار الصّبار وكانت تجمّع الأغصان" (ص 106)



رسام: اسف بن اروش

اللّد هيّ مدينةً في المركز ، وتقعُ في الجنوب الشرقي من تل أبيب- يافا. تعتبر اللّد من أقدم المُدن في البلادِ والعالم، وقد عُثِرَ فيها على مكتشفات أثرية من العصر الحجري الحديث والعصرين البرونزي والحديدي، ويُقدّر عمرها ب 6000 عام. كانت اللّد إحدى المُدن الكبيرة في فترة الحُكم اليوناني، وقد احتلها الحشمونئيم في الفترة الرومانية. منذ عودة المنفيين من المنفى البابلي المدينة مختلطة ويعيش فيها يهود ومسيحيون ومسلمون.



لا تزال اللد مدينةً مُختلطة، يَعِيشُ فِيهَا الْيَهُودُ مِنْ طَوَائِفَ عَدِيدَةٍ، وَمِنْ فترات هجرة مختلفة، كما يعيشُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَالْمَسِيحِيُّونَ. وَهِيَ مَدِينَةٌ مَرْكَبَةٌ جَدًّا، وَتَتَبَّرُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ الْخَنِينِ وَالتَّطَلُّعِ لِإِمْكَانِيَّةِ الْعَيْشِ الْمُشْتَرِكِ لِلْيَهُودِ وَالْعَرَبِ، كَمَا كَانَتْ الْحَالُ فِي الْمَغْرِبِ.

تُوحي القصة بقصيدة للشاعر إيرز بيطون: "نشيد لمدينة في الغروب" والذي ينسجم مع لحظة خروج الجدة ياقوت إلى الشرفة وقت الغروب، لتتظر إلى جهة الغرب، حنينًا لمسقط رأسها، المغرب. يعترى الجدة الحزن لمرأى امرأة عربية تمر خلف جدار شجيرات الصبر وتختفي "في اتجاه البساتين والسكة الحديدية". تعيد المرأة للجدة ذكريات لأيام عاش فيها العرب واليهود بسلام، ويرمز الصبر للحياة التي تم تدميرها بتهجير العرب من اللد، والقضاء على إمكانية العيش المشترك بين اليهود والعرب، وباختفاء المرأة بينعد الأمل ويختفي.

الملاح

"الحاخام يوسف حبيب، وصورته مُعلَّقةً لَدَيْهَا عَلَى الْحَائِطِ. يَبْدُو فِي هَذِهِ الصُّورَةِ وَهُوَ يَتَمَشَّى بِلُحْيَتِهِ الطَّوِيلَةِ فِي أَحَدِ أَرْقَةِ حَيِّ الْمَلَّاحِ" (ص 97)

الملاح هو اسم كان يُطلق على الحي اليهودي في مُدن المَغْرِبِ (كما أُطلق اسم "حيّو" على حي اليهود الغربيين). أُقيِمَ فِي الْعَامِ 1438 فِي مَدِينَةِ فَاَسْ أَوَّلُ حَيِّ يَهُودِي فِي الْمَغْرِبِ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ "مَلَّاحٍ"، وَأُقيِمَتْ بَعْدَهُ أَحْيَاءُ مَلَّاحٍ فِي الْمُدُنِ الْأُخْرَى: مَرَاكَشْ، مَكْنَسَا، تَارُودَانْت، الرِّبَاط، موكادور وغيرها). بمرور الوقت أُقيمت العديد من **أحياء الملاح** في بلدان مُختلفة من دول شمال إفريقيا.

تدور بعض أحداث القصة "شاي حلو بالنعناع" في المغرب بين أسوار حيّ الملاح، وهذا ما يدعونا لإلقاء نظرة إضافية على شخصيات القصة وسير الأحداث فيها.

النبي إياهو (إلياس)

"أثناء الليالي، عندما كان جدي الحاخام حبيب جالسًا يعكف على دراسة التوراة، كان النبي إياهو طيب الذكر يظهر له" (ص 97)

ذَكَرَ النَّبِيُّ إِيَاهُو (إِيلِيَا أَوْ إِيْلِيَا) فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَيَعْتَبَرُ أَحَدَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ ظَهَرُوا فِي عَهْدِ آحَاب، مَلِكِ مَمْلَكَةِ إِسْرَائِيلِ. يَحْتَوِي الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْعُمُوضِ بِالنِّسْبَةِ لظهوره ثم اختفائه المفاجئ، كما يتضمّن قصصًا عن المعجزات التي قام بها، وهي تدل بالنسبة للمؤمنين على القدرات الخارقة لأولياء الله والصالحين. ورد ذكر النبي إياهو في الروايات والتقاليد اليهودية، وهو يُذكر في صلاة ختام يوم السبت، وفي طقوس الطهور، إذ يجلس المُطَهَّرُ عَلَى "كُرْسِيِّ إِيَاهُو"، وَكَذَلِكَ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِصْحِ "لَيْلِ هَسِيدِر"، حَيْثُ يَنْتَظِرُهُ الْجَمِيعُ وَيَخْصِمُونَ لَهُ كُرْسِيًّا وَكَأْسَ نَبِيذٍ. يُطْلَقُ عَلَى النَّبِيِّ إِيَاهُو أَيْضًا اسْمُ **إِيَاهُو النَّسَبِيِّ**، وَكَذَلِكَ **إِيَاهُو الْجَلْعَادِي**. فِي الْإِسْلَامِ أَيْضًا يَعْتَبَرُ النَّبِيُّ إِيْلِيَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبِسَبَبِ قُدْرَتِهِ عَلَى جَلْبِ الْمَطَرِ يَعْتَبَرُهُ الْمُسْلِمُونَ النَّبِيَّ الْأَخْضَرَ الَّذِي يَرْمُزُ لِلْمِيَاهِ وَوَأَحَاتِ الصَّحْرَاءِ، كَمَا يُؤْمِنُونَ أَنَّ لَهُ قُدْرَاتٍ وَرُؤْيَا خَارِقَةً لِلْعَادَةِ. النَّبِيُّ إِيْلِيَا فِي الْقُرْآنِ هُوَ نَفْسُهُ النَّبِيُّ إِيَاهُو. أَمَّا فِي الْمَسِيحِيَّةِ فَهُوَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ الَّذِي يَبشُرُ فِي "العهد الجديد" بمجيء المسيح المنتظر.

فِي قِصَّةِ "شاي حلو بالنعناع" يَظْهَرُ النَّبِيُّ إِيْلِيَا لِلْحَاخَامِ حَبِيبٍ وَهُوَ يَدْرُسُ التَّوْرَةَ، وَفِي حُلِّ مَشْكَلَةِ شَلُومُو مِيمُون، كَمَا يَظْهَرُ كَشَخْصِيَّةٍ رَمْزِيَّةٍ يَقدِّرُهَا الْيَهُودُ وَيَرْغَبُونَ فِي الْاِقْتِدَاءِ بِهَا. الْمُثْبِرُ هُوَ أَنَّ شَلُومُو مِيمُون يَتَمَنَّى حُدُوثَ مَعْجَزَةٍ لِيُشَاهِدَ وَجْهَ النَّبِيِّ إِيْلِيَا، وَلَكِنَّهُ يَكْتَشِفُ بِأَنَّهُ نَفْسُهُ لَعَبِ دُورِ النَّبِيِّ إِيْلِيَا بِالنِّسْبَةِ لِعَائِلَةِ مَعِينَةَ، وَذَلِكَ دُونَ وَقُوعِ مَعْجَزَاتِهِ.



أسئلة واقتراحات لكيفية تدريس القصة

لماذا سميت القصة "شاي خلو بالنعناع"؟

تبدأ أحداث القصة بعادة الجدة ياقوت الدائمة وهي تحضير واحتساء الشاي بالنعناع. فهي "تحتسي منه على مهل، تنتهّد ونزوي لنا القِصص" (ص 97)، وتعود بمستمعيها وبالقرّاء إلى بلادها الأصلية، المغرب. طقوس شرب الشاي هي جزء من نمط الحياة في المغرب، ولكنها في القصة تكتسب معنى إضافيا يتعدى طقوس الاستضافة. فهذه العادة هي المحرك الذي يدفع الجدة ياقوت لاستعادة الذكريات والخوض في سرد قصصها بما فيها من لحظات فرح وحزن وأزمات. تتخلل حكايات الجدة استراحات تحتسي خلالها الشاي ثم تواصل الحديث عن ذكرياتها بطلاقة وبصور ملموسة ومفصلة. في نهاية القصة، وعندما تشعر الجدة ياقوت بالتعب، تغمض عينيها وتستعيد مشهد شرب الشاي عند سليقة جدتها مع السيدة ميمونة، وتذكر كيف "كانتا تضحكان وتتبادلان الفكاهات طوال الليل. كم كان ذلك الشاي خلوا! (ص 108)

طقوسُ شرب الشاي هي همزة الوصل التي تنتقل القراء بين قصتين: قصّة الإطار التي ترويها حفيذة ياقوت، وتجري أحداثها في اليوم السابع من عيد الفصح، ليلة عيد الميمونة، في اللد، في منزل الجدة، والقصّة التي ترويها الجدة، والتي وقعت أحداثها في المغرب وفيها شخصيات مثل والدّة الجدة واسمها سمحة، والدها شلومو ميمون، خالتها عزيزة، جدتها سُلبيقة وجدّها الحاخام يوسف حبيب.

هنالك علاقةٌ مثيرةٌ بين عنوان القصة "شاي حلو بالنّعناع" وبين ديوان الشاعر إيرز بيطون "كتاب النّعناع" الذي صدر في العام 1979 وأسس لما يُطلق عليه في الثقافة الإسرائيلية "ثورة النّعناع" والتي يتردد صداها في الموسيقى الشرقية في إسرائيل. وُلد إيرز بيطون في شمال المغرب وعاش في مدينة اللد، وينظرُ معظم أشعاره إلى الهجرة من المغرب لإسرائيل والحنين للحياة في بلاد الأم وصعوبات الاندماج في إسرائيل. هل يحتوي عنوان القصّة على معانٍ إضافيةٍ مرتبطة بمجريات الأحداث وبشخصياتها؟

ما هي الدوائر المختلفة التي تُنسج من خلالها القصّة بوصفها قصّة ذكريات؟

تأخذنا القصّة في مآهات الزمن وتجوّل بنا بين أربعة أجيال مختلفة، ابتداءً من جيل الفتاة التي تروي قصة الإطار، الآن وفي اللد، وحتى جيل والدّة الجدة، في الماضي في المغرب.

بالإضافة لقصّة الإطار التي تُتيح استعادة الذكريات، تتخلل القصة حكايات أخرى مرتبطة حيناً بقصة الإطار وحيناً بقصّة الذكريات، وهي تتحوّل إلى همزات وصل بين الدائرتين:

مائدة الميمونة: تبدأ القصّة بعادّة شرب الشاي لدى الجدة ياقوت، قبل إعداد مائدة الميمونة في المنزل باللد. ثم يرد ذكر "المائدة" في حكاية الجدة عن منزل عائلة سيسو ليلة عيد الفصح، حيث تقع مُعجزةٌ وتحوّل المائدة من "طاولة تتمايل وأرجلها مكسورة" (ص 105)، في إشارة لفقّر العائلة، إلى "طاولةً جديدةً... عليها ما لُدّ وطاب" (ص 105) في ليلة عيد الفصح، وذلك بفضل كرم الضيف شلومو ميمون، الذي يظهرُ وكأنّه النبيّ الياس.

تنتهي الجدة من حكاية قصة عائلة سيسو وهي تقف بجانب مائدتها الجاهزة في اللد. وكذلك المصالحة بين شلومو ميمون وسعيد بن جلون تتم بجانب مائدة العيد، بمشاركة الجيران المسلمين الذين يجلبون "الحاميتس" ويهنّون اليهود بالعيد. وتنتهي قصّة الإطار بجانب مائدة العيد، بعد أن يحاول الأحماد البقاء يقظين حتّى يروا السيّدة ميمونة وقد أتت لتتذوّق المأكولات وتبارك العائلة. تتحوّل المائدة في السياقات المختلفة إلى "راوية" تنقل لنا طقوس العيد ورموزه.

السجادة: موضوع آخر يُشار إليه في بداية القصّة هي السجادة، والتي تعلّمت سمحة حياكتها من جدّتها سُلبيقة. السجادة المنسوجة عليها صورة عبور البحر الأحمر تشكّل هي أيضاً همزة وصل بين أحداث الماضي والحاضر: "أشارت الجدة ياقوت إلى سجادة كانت معلقة على الحائط... وواصلت: لقد انتهت من حياكة هذه السجادة يوم إسرّو حاج" (ص 100)، أي في اليوم السابع من عيد الفصح. هنا تنتقل القصّة إلى ليلة العيد الذي يتم الاحتفال به دون حضور والدها، شلومو ميمون، وذلك بسبب الإهانة التي وجّهها لصديقه سعيد بن جلون وعدم استعداده للصفح عنه.

في ختام قصّة الإطار، تعود الجدة للسجادة: "لم يتم بيع سجادة عبور البحر الأحمر التي أعدتها أُمّي، وهي كما ترون لا تزال معلقةً عندي هنا" (ص 108). هكذا، تتحوّل السجادة إلى "راوية" أخرى شاهدة على قصة العائلة وعلى القصّة الشعبيّة حول النبيّ إياهو وكذلك على الذاكرة الجماعية للخروج من بلاد العبوديّة التي تُروى جيلاً بعد جيل.

تظهر حياكة السجاد في ثقافاتٍ مختلفة، وتشكّل طريقة تحكي من خلالها النساءُ قصص حياتهن أو حياة مجتمعاتهن. لدى النساء معلومات هامة ولهن القدرة والمسؤولية على تمريرها بطريقتهن الخاصة.

ما هي الدوائر الأخرى التي تتألّف منها القصّة الكاملة وما معناها وأهميتها؟

ما جدوى القصة التي تتداخل فيها الذكريات من الماضي بالنسبة للجيل الشاب في عصرنا الحالي؟

ما هو دور ومكانة النساء في القصّة؟

تبرز المكانة الخاصة للنساء على طول القصة، وتتداخل فيها خمسة أجيال. للرجال دور ولكنه هامشي قياساً بالدور المبادر والمؤثر للنساء على مجريات الأحداث.

للقصّة راويتان:

الأولى هي الحفيذة التي تفتتح قصّة الإطار وتدعو للاستماع لقصّة جدّتها ياقوت. تختتم الحفيذة قصّة الإطار وتُتيح حتى لمن لا يؤمن بالنبيّ الياس وميمونة ولا يرى ما علاقتها بالجيل الحالي، أن يقبل بتشوق على قصة الجدور ويدرك تأثيرها وأهميتها.

الرّواية الرئيسيّة هي الجدة ياقوت التي تستعيد الأحداث، كما لو كانت مشهداً بداخل مشهد. ولكل مشهد قيمة إضافية ويشكل نواة لقصة أخرى، إلا أنّ الجدة ياقوت لا تتوسّع فيه بل تعود للأحداث الرئيسيّة، تاركةً لخيال القراء والقارئات فضاءات يمكنهم ملؤها.

تبدأ الجدة ياقوت قصّتها بمشهدٍ من حياة سمحة وعزيزة، وهو مشهدٌ مُشوِّقٌ نظراً لجرأتها على تغيير عادات المجتمع بخصوص تعلم التوراة في المدرسة الدينيّة. وهنا يبرز دور والدهما الحاخام حبيب الذي سمح لهما بتجاوز القاعدة وأجاز لهما تعلم التوراة، وسمح لعزيزة بتحقيق رغبتها في عدم الزواج للفرغ لشؤون الفقه اليهودي. كما اعتبرت أمهما السيدة سليقة "واحدة من أهم النساء في المدينة" (ص 98).

من هذا المشهد تنتقل الجدة ياقوت إلى مجريات الأحداث في منزل والديها سمحة وشلومو ميمون. فتحدّثنا عن تأزم العلاقة مع سعيد بن جلون المسلم الذي كان شريك والدها في الأعمال التجاريّة، وذلك بسبب شعور والدها بالإهانة وعدم استعداده للصّح والمصالحة. تأثير الأزيمة السلبي على الأوضاع الاقتصاديّة لعائلة ميمون، يأخذنا إلى مشهد الأحداث في منزل عائلة سيسو الفقيرة، حيث يتم إصلاح الضرر والتغلب على الإهانة، وذلك بفضل كرم شلومو ميمون مع عائلة سيسو. وكان شلومو يتّبع تعليمات أخت زوجته، الفقيهة عزيزة، والتي قالت له: "كنت جديراً بأن تكون النبيّ إياهو بالنسبة لهم، والآن بإمكانك أن تكون النبيّ إياهو من أجل عائلتك" (ص 107).

تختتم الجدة ياقوت قصّتها بمشهد المصالحة مع بن جلون في منزل عائلة سمحة وميمون في يوم الميمونة. ثم تُضيف مشهداً فكاها عن الجدة سليقة التي رأتها عزيزة عندما رجعت إلى منزلها وهي "تجلس وتسرّب الشاي الحلو بالنعناع مع السيّد ميمونة. كانتا تضحكان وتتبادلان الفكاهات طوال الليل. كم كان ذلك الشاي حلواً!" (ص 108).

لماذا تُروى القصة كلها من وجهة نظر وبأصوات نسائيّة؟

سمحة وعزيزة

تبدأ قصّتها من موقع تحدّي العادات والتقاليد، فهما تريدان تعلم التوراة في المدرسة الدينيّة على الرّغم من أنّ التقاليد اليهوديّة تحظر ذلك. موافقة والدهما تتيح لهما الجلوس في العليّة على سطح المدرسة الدينيّة لتعلم التوراة. يرتبط هذا المشهد بقصة هيليل هراكين الذي كان يتعلم وهو يستمع خلسةً من سطح منزل، نظراً لوضعه الاقتصاديّ المتردّي. كما أنّ هناك تطرّفاً في القصص الشعبيّة لبنات رغبين في تعلم التوراة، أشهرها قصة يتسحاق بشبيس زينغر - ينطال الذي تحدّث عن فتاةٍ تنتكّر في لباس رجلٍ لتتمكن من التعلّم في المدرسة الدينيّة على الرّغم من كون ذلك ممنوعاً.

بموازاة دراسة التوراة، تواصل كل من عزيزة وسمحة العيش حسب عادات وتقاليد العائلة في السّاحة الداخليّة لمنزل عائلتهما، واكتساب المعرفة التقليديّة الخاصّة بالنساء مثل: الطبخ، والعزل والنسيج وخاصّة "أسرار الأعشاب..." (ص 98) من الجدة سليقة، تلك المعرفة التي منحت سليقة مكانةً مرموقةً في ذلك المجتمع.

تتيح الجدة سليقة من خلال سلوكها وتصرفاتها المجال للنساء ليتوّء مكانة معترف بها في المجتمع. فهي تقوم بذلك بفضل معرفتها بالطبّ الشعبيّ وحنكها وتجربتها في الحياة. وتواصل ابنتها عزيزة طريقها، ولكنها تفعل ذلك بفضل معرفتها بالتوراة والجمارا أيضاً، العلوم التي كانت مقصورةً على الرجال فقط بشكل عام. فبعد أن يتوفى الحاخام حبيب تستمر عزيزة في "إفادة جميع سكّان حيّ الملاح من علمها وحكمتها، ومن لطفها وكرمها" (ص 99).

تقرر عزيزة عدم الزواج وتكرّس حياتها للصالح العام، وهو قرار آخر استثنائيّ في حياتها. وقد قصّت على أبيها سرّ الحلم الذي بسببه لم تنزوّج "وعرف وسكت" (ص 99) وعندما حاولت أن تعرف هل "هل حقاً كان ذلك حلماً أم أنّ النبيّ إياهو ظهر لها حقاً وباركها؟ وعندما توجّهت بالسؤال لوالدها تهرب من الإجابة" (ص 99). أما جدتها سليقة فطلبت ألا تخبر أحداً بالأمر، وفي نفس الوقت داغبت شعر عزيزة "احتضنتها وعانقتها وقالت لها حتّى لو كان ذلك حلماً، فليس هناك شك أنّ النبيّ إياهو قد تجلّى لها" (ص 99). بهذا تكون سليقة قد منحت عزيزة موافقتها على تحقيق مرادها وحلمها.

تواصل سمحة في المسار التقليديّ، فتكون عائلةً وتتجرب أولاداً وتواصل حياكة سجّاد العائلة، ومن خلال ذلك تتعلّم لابنتها ياقوت ومن خلالها لحفيدة ياقوت قصة الخلاص من العبوديّة، ثم قصة النبيّ إلياس والسيدة ميمونة. وبذلك "حتّى لو لم نتمكن من مشاهدة المعجزات مثل شقّ البحر الأحمر..." (ص 109)، فبالإمكان الاستمرار في سرد القصة للأجيال القادمة، القصة التي أصبحت العمود الفقريّ للانتماء مما يبيح الاندماج مع المعاني والدلائل المختلفة للقصة.

تصبح عزيزة الشخصية الفعّالة في القصة، فهي التي تضع الخطّة لحلّ الأزيمة بين شلومو ميمون وبن جلون، فتسعى لمعالجة الشعور بالإهانة من خلال التحفيز على فعل الخير والكرم. فهي توجّه ميمون إلى منزل عائلة سيسو، وبعد أن يفعل الخير مع العائلة المنكوبة، يدرك أن بداخله الشخصية المثاليّة للنبيّ إلياس، فيصبح جاهزاً نفسياً للتواصل مع سعيد بن جلون، والعفو عنه والتّصالح معه. تجري المصالحة مساء الميمونة، عيد الحظ، والذي اعتاد المسلمون واليهود الاحتفال به معاً.

المصالحة كاستراتيجية في النزاعات الشخصية والاجتماعيّة وحتّى القوميّة، بإمكانها أن تكون جسراً لتقليص الفجوات في المواقف وحلّ الصّراعات.

ما هو دور سمحة وعزيزة في القصة، والذي يتيح مكانًا للتقاليد وإمكانية إحداث تغيير فيها؟

ما مدى قوة وتأثير القصة؟

في القصة ما يشبه الشعار يتكرر ويتشابك داخل مجريات الأحداث ويظهر ثلاث مرّات: في المرّة الأولى عند الانتقال من قصة الحفيدة في الحاضر إلى قصة الجدة في الماضي - "أما نحن فلم نحظ بمشاهدة مثل هذه المعجزات، ولكن بإمكاننا أن نروي القصة" (ص 100)؛ وفي المرّة الثانية في نهاية قصة الجدة ياقوت - "حتى لو لم نتمكن من مشاهدة المعجزات مثل شقّ البحر الأحمر، وحتى لو لم نُسأهده وجه النبي إياها، بإمكاننا أن نستمرّ في رواية هذه القصة" (ص 109)؛ وفي المرّة الثالثة على لسان الحفيدة التي تمضي في سرد القصص كجدها، وتحكي لنا القصة كما تذكرها - "لم نحظ بمشاهدة السيّدة ميمونة مثلما لم نحظ بمشاهدة شقّ البحر الأحمر وكذلك النبي إياها، ولكن، كما قالت الجدة ياقوت، بإمكاننا أن نروي القصة. وهكذا قصصنا عليكم" (ص 109). تمنح هذه المقولة القصة تأثيرًا عميقًا لكونها تحافظ على الذكريات الموروثة، وتنقلها من جيل لآخر. وفي كل مرّة نروي فيها القصة، يكون لها كيان قائم بذاته بفضل الشخصية التي ترويها. يقول البروفسور شولمان، رئيس قسم الدراسات الهندية في الجامعة العبرية: "إنّ كل عمل إبداعي، بعد أن يصدر عن مؤلّفه، يصبح له كيان قائم بذاته، وكعمل إبداعي تكون له قوة كبيرة. إدراكنا اليومي يتخلله النسيان، أما القصة فمُشعبة بالذكريات وهنا يكمن سرّ قوتها" (شولمان، 2000).

هناك قصص تشتمل على ذكريات جماعية ومأخوذة من مصادر متنوّعة، تاريخية، دينية، أدبية وغيرها، وهي تمنح العمل الإبداعي "الجديد" صلات وعمق وجودي وثرأ بسبب التواصل مع عوالم وأزمنة مختلفة، مما يتيح للقراء والفارقات الاندماج مع القصة.

قصة "شاي حلو بالنعناع" هي قصة ذكريات تأخذ القراء بعيدًا أربعة أجيال، ولكنها تمنح أيضًا موقعًا لرواية صغيرة للاندماج مع قصة جدتها ولكن بأسلوبها الخاص بها. يوحى هذا الأمر بقصة شموئيل يوسف (شاي) عجنون "شمعة في الغاب" وهي صيغة لقصة زهد الحاخام إسرائيل البعازر² التي تنتهي بهذه الكلمات: "القصة التي رواها الجيل الأخير أدت دورها لا أقل من أعمال الأتقياء في الأجيال السابقة". قصة "شاي حلو بالنعناع" هي قصة تنتقل من جيل لآخر وبالإمكان مواصلة روايتها، ولها معان ودلائل ولها تأثيرها ودورها في كل وقت نروي فيه. ما العلاقة بين السجاد الذي حاكنه سمحة وحكت من خلاله قصة اجتماعية-ثقافية قومية تنتقل من جيل لآخر، وبين حقيقة كون هذه القصة تُروى من قبل نساء عن نساء غيرن التقاليد المألوفة، وتأخذ القرارات وأصبحت شخصيات هامة في المجتمع؟

أهداف أخرى لتدريس عيد الميمونة والعلاقة بعيد الفصح

1. دراسة عناصر العيد وقيمه من وجهات نظر مختلفة: اسم العيد، عاداته، قيمة الضيافة، قيمة المصالحة، قصص شعبية وأشعار تدل على معانيه وأهميته، شخصيات إنسانية وشخصيات ذات قوى خارقة وموقعها في الماضي واليوم كما يتجلى في العيد.
2. التعرف على عيد الميمونة ورسم ملامحه كعيد تطوّر من عيد قديم جدًا تتطلّع فيه الجاليات الشمال إفريقية إلى الحظ، وتسعى لتكريس العادات والتقاليد والارتباط بالجذور الطائفية، وفي نفس الوقت مناسبة تؤسس لمعان جديدة وتقوي أواصر العلاقات بين الناس أينما كانوا من خلال عادة "البيت المفتوح للجميع" والاحتفال الجماهيري بالعيد من خلال الخروج للطبيعة والمنتزهات للاحتفال بعيد الربيع.
3. الربط بين عيد الفصح، وجوهره رواية قصة الخروج من مصر من جيل لآخر (قصة الخروج من العبودية للحرية المادية والروحية الشخصية، ومن العبودية الاجتماعية الثقافية القومية إلى الحرية القومية)، وبين رواية قصة ذكريات عيد الميمونة الذي بدأ في المنفى ثم تجدد في البلاد، وطريقة الحفاظ على أهمية العيد بالنسبة للجيل الشاب.
4. دراسة القيم التي تكمن في أساس القصة والعناصر التي تتكون منها، وفحص أهميتها بالنسبة لواقع حياتنا اليوم، للفرد، للعائلة والمجتمع.
5. التعرف على الفترات التي عاش فيها اليهود والمسلمون في البلدان الإسلامية في أجواء من الحوار الثقافي، وعلاقات الجوار والصدقة والتعاون التي ربطت بينهم (كما في عيد الميمونة)، والفترات التي سادتها الأزمات والنزاعات بين الجيران؛ ومعاناة الظروف الخاصة بالعيش المشترك بين اليهود والعرب.
6. التعرف على المكونات المشتركة لعيد الميمونة ولأعياد في الثقافة العربية، والتطرّق لمعانيها الخاصة باللقاء بين الثقافات المختلفة في إسرائيل في وقتنا الحالي.

مقترحات لفحص مستوى الفهم أثناء قراءة القصة أو بعد عملية القراءة

1. يمكن استخدام تطبيقات الفهم في فعاليات رئيسية فردية أو جماعية، في مهام التحدي، أو في مهام شخصية بهدف التقييم:
1. تحكي عزيزة قصة حياتها، بدءًا من طفولتها عندما تعلمت في تلك الغرفة الصغيرة على سطح المدرسة الدينية وحتى قرارها بعدم الزواج. فحص مستوى الفهم الشخصي لدى الطلاب، من خلال الدمج بين العمل والمعرفة، وإضافة تفاصيل جديدة لها علاقة بالمعرفة المتوفرة في القصة.
2. يتحدث الناس عما يجري في منزل الحاخام حبيب وسليقة بالنسبة لأسلوب تربية البنات، وهناك مؤيدون ومعارضون. كونوا مشهدا حيا فعلا للقاء يتخلله جدال حول الموضوع، في السوق أو في إحدى الساحات الخلفية في حي الملاح. فحص الفهم الجماعي "لإنتاج المعرفة" والتعبير عن الآراء من وجهات نظر مختلفة.
3. فعالية رسم سجاد آخر كالذي حاكته سمحة، ولكنه هذه المرة يسرد قصة حياتها من وجهة نظرها: تطرقوا لشخصيات العائلة ومكانتها، الأحداث والذكريات المفرحة والحزينة في العائلة، عيد الميمونة الذي يتحدث عنه ياقوت، شخصيات هامة ترتبط بحياتها وغير ذلك. الهدف من الفعالية فحص الفهم من خلال "إنتاج معرفة" ورسم سجادة من منظور نسائي. بالإمكان القيام بالفعالية بشكل منفرد أو في أزواج.
4. يحاول سعيد بن جلون أن يوضح لشلومو ميمون الأحداث التي وقعت في ساحة المنزل بيد أن شلومو ميمون لا يصدق أقواله، يعتدي عليه ويهينه- صوروا الخصومة بين الاثنين كمشهد مسرحي. فحص الفهم بشكل فردي أو زوجي من خلال "عرض المعلومات" وصياغتها كحوار، وتشكيل وجهات نظر نقدية حول إحدى الشخصيتين أو كليهما.
5. قصة الحجارة التي تغلي في الطنجرة لعدم توفر الطعام، موجودة في القصص الشعبية اليهودية والعربية - اسردوا قصة تشتمل على موضوع طبخ الحجارة، ولكن من خلال الدمج بين الواقع والعنصر الشعبي للقصة. الهدف فحص الفهم بشكل يستدعي الارتباط بالمصادر الشعبية للقصة، وكذلك تطوير رؤية نقدية لمسألة ضرورة دمج الحكايات الشعبية في قصة يفترض أن تكون معاصرة.
6. تظهر قصة النبي إلياهو في حكايات شعبية عدة. تمعنوا في القصص المرفقة- ما المشترك بين القصص المختلفة وكيف يتردد صدى هذه الحكايات في قصة "شاي حلو بالنعناع"؟ هل بالإمكان التخلي عن شخصية النبي إلياهو في القصة؟ الهدف هو فحص الفهم الذي يستدعي "تكوين روابط" بين المصادر الشعبية للقصة، والتمعن النقدي حول مسألة دمج القصص الشعبية.
7. تدمج القصة شخصيات ذات قوى خارقة للطبيعة، سواء في سير أحداث القصة أو في الحلم. استخدام الشخصيات الخارقة التي "تعيش" بين الناس، يُعتبر مميّزًا متعدد الثقافات وموجود في الحكايات الشعبية لدى كل الثقافات. خمنوا: لماذا استخدمت الكاتبة رونيت حاخام في قصتها شخصيات خارقة مثل السيدة ميمونة؟ لماذا يلجأ البعض لشخصيات غير طبيعية وربما خيالية في حياتهم اليومية، ولماذا يجري التعبير عنها أيضا في المؤلفات الأدبية؟ هل هناك مجال لمثل هذه القصص في عصرنا؟ تطبيق فهم يستدعي التمعن في القصة ومصادر ها من خلال الحكايات الشعبية والنظرة من خلال التفكير النقدي لمدى ملائمة القصة لعصرنا.

فحص فهم تلخيصي:

1. مسرحية القصة وعرضها.
2. مقابلة مع شخصيات هاجرت من المغرب ولا تزال تتذكر كيف احتفل هناك بعيد الميمونة - جمع المعلومات والقصص وتنظيمها ككراسة معلومات.
3. تحضير صور ورسومات إيضاحية للقصة، لغرض المشاركة في مسابقة لرسومات قصص حول الأعياد والمناسبات القومية.

وختامًا

1. فرقة "سفاتييم" في أغنية حول الميمونة.

2. صفحة فيسبوك لنادي الميمونة - نادي طلاب مغاربة غير يهود يرون في التراث اليهودي في المغرب جزءًا من تراثهم رغم الاختلافات الدينية.
3. مقال حول نادي الميمونة.

=====

1. تشليخ: كناية عن التقليد المُتَّبَع لدى اليهود وفيه يذهبون في اليوم الأول من رأس السنة العبرية إلى ساحل نهر أو بحر أو بالقرب من بئر ماءٍ لأداء صلاة العَصْرِ هناك (للتبرؤ من الخطايا). (المُترجم).
2. الحاخام إسرائيل إلبعزر (1760-1698) الملقَّب ب"بعل شم طوف" (הבעש"ט) بمعنى صاحب الاسم الطيب. (المترجم).
- تم إعداد هذه النشرة بمساعدة من الاتحاد الأوروبي. محتويات هذه النشرة من مسؤولية جمعية هاجر لتربية يهودية عربية للمساواة ولا تعكس بأي حال من الأحوال وجهات نظر أو آراء الاتحاد الأوروبي.

تم إعداد هذه النشرة بمساعدة من الاتحاد الأوروبي. محتويات هذه النشرة من مسؤولية جمعية هاجر لتربية يهودية عربية للمساواة ولا تعكس بأي حال من الأحوال وجهات نظر أو آراء الاتحاد الأوروبي.

**This publication has been produced with the assistance of the European Union.
The contents of this publication are the sole responsibility of Hagar Jewish-Arab
Education for Equality and can in no way be taken to reflect the views of the
European Union.**